النقد القديم بين المعيار اللغوي والمعطى الجمالي
قراءة في الجوازات الشعرية

د. بلوافي حليمة
المركز الجامعي عين تموشنت

ملخص البحث :

يتأسس النقد اللغوي بداءة على ملاحظة الجوانب الشكلية في النص الأدبي، فيعرضها على المقاييس اللغوية التي استنبِطت من نصوص قديمة مثلت أهم الوجوه الوظيفية للغة العربية في مستوياتها الفنية ،ولذلك غدت تلك النصوص مراجع مهمة في استنباط المقاييس اللغوية والحكم على ما جد من نصوص بناء على ما توافر بين يدي العلماء من قواعد للنظر النقدي .

ولما كانت تلك النصوص القديمة تعلي من شأن اللغة في التصوير ،كان أهم ما راع اهتمام علماء النقد اللغوي بدء من الطابع الشفهي لتلك النصوص ،وعطفا على حضور السماع مقياسا لجودة النص ، وذلك ما تمظهر في الاعتناء بإيقاع البيت الشعري ،وبروز مقاييس متقدمة تلفت النظر إلى ما يمكن أن يعترِيَ ذلك الإيقاع من نبو ونشاز ،وهو ما صار معيارا تحتكم إليه الأذن العربية .

ولقد ابتغينا من خلال عرضنا لموضوع هذا البحث تبيان الجوانب الشكلية في المقول الأدبي التي حظيت باهتمام كبير من قبل نقادنا القدامى ،وذلك لوعيهم أن الشكل اللغوي هو الذي يحقق للنص الأدبي أدبيته .

الكلمات المفتاحية :النقد الشكلي – الايقاع – العروض – البعد الجمالي

ملخص البحث باللغة الانجليزية :

The linguistic criticism is based on the observation of the formal aspects of the literary text. It presents it to the linguistic standards that were derived from ancient texts that represented the most important functional aspects of the Arabic language at their technical levels. Therefore, these texts became important references in the development of linguistic standards and judging the texts based on what Availability is in the hands of scholars of the rules for critical consideration Since these ancient texts were of interest to the language in photography, the most important thing that took the interest of linguists from the linguistic beginning of the oral nature of those texts, and the presence of listening to a measure of the quality of the text, and what is shown in the care of the rhythm of the House of poetry, and the emergence of advanced standards draws attention to What can be tempted by the rhythm, which has become a standard under the Arab ear Through our presentation of the subject of this research, we sought to clarify the formal aspects of the literary argument that have received great attention from our old critics, for their awareness that the linguistic form is the one that achieves the literary text literature
Key words:The linguistic criticism - old critics – rhythm - poetry

تمهيد :

تطورت الوظيفة النقدية في بحثها عن الجوازات الشعرية التي تسمح للشاعر أن يجد حرية واسترسالا في قوله الشعري ،ويعد ذلك تخفيفا من قيود الشكل اللغوي المتمثل في الجانب العروضي ، وتجاوزا لقيود الصرف والإعراب يقول قدامة بن جعفر في ذلك :" فأما عذرهم للشاعر في التقصير واغتفارهم له العيوب ، فقد جوزوا له قصر الممدود ، وحذف الحركة ، وتخفيف الهمز ، وصرف ما لا ينصرف ،ما لم يجيزوه للمتكلم ، وأجازوا له أيضا في الوزن استعمال الزحاف والخرم وفي القافية الإكفاء والإقواء والسناد والإيطاء والتضمين وكل ذلك من العيوب ."[1]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- بين النقد وعلوم اللغة :

فتأسس تبعا لذلك علم العروض ،وتوسع العلماء في ذكر علله وزحافاته ،وجوزوا للشاعر لحونا لم يجوزوها للناثر ،وأضحى علم العروض علما تطبيقيا يصدر من النص ثم يعود إليه ،حيث أن الجانب الفني المتميز في النص قد يغطي على ما في النص من عيوب على المستوى اللغوي ،فأبو هلال فتأسس تبعا لذلك علم العروض ،وتوسع العلماء في ذكر علله وزحافاته ،وجوزوا للشاعر لحونا لم يجوزوها للناثر ،وأضحى علم العروض علما تطبيقيا يصدر من النص ثم يعود إليه ،حيث أن الجانب الفني المتميز في النص قد يغطي على ما في النص من عيوب على المستوى اللغوي ،فأبو هلال العسكري حينما يتحدث عن صناعة الشعر وصناعة النثر ،إنما يتحدث في ثنايا ذلك عن صناعة أخرى هي صناعة النقد الذي بدت معالمها واضحة في حدود القرن الخامس الهجري ،فلم ترد النصوص التي تجاوز أصحابها قيود النحو والصرف ،وإنما نوه بجمالها الفني وذيل ذلك التنويه بذكر ما فيها من جوازات يقول أبو هلال "وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة أهل العربية فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه ..وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقبحها ..وأن بعضهم كان صاحب بداية ،والبداية مزلة وما كان أيضا تنقد عليهم أشعارهم ولو قد نقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب تجنبوها..كقول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباءُ تُنْمي بما لاقتْ لبونُ بني زيادِ

فقال - ألم يأتيك – فلم يجزم . وقال ابن قيس الرقيات :

لا بارَكَ اللهُ في الغوانيَ هل يصبِحن إلا لهنَّ مُطَّلَبُ

فحرك حرف العلة . وقال قعنب بن أبي صاحب :

مهلاً أعاذلَ قد جربْتِ من خلقي إني أجودُ لأقوامٍ وإن ضنِنُوا

وقول آخر : إذا جاوزَ الإثنين سرٌّ فإنه بنشرٍ وتكثير الوشاةِ قمينُ

فقطع ألف الوصل ."[2]

هذه الملاحظات النحوية والصرفية التي أبداها أبو هلال العسكري على تلك الشواهد الشعرية ،تنبئ أن النقد اللغوي لم يبرح وظيفته التقويمية على مر العصور ،وإن خفف اللغويون من صرامة تلك الوظيفة إلا أن التقويم اللغوي لم يعد يذكر في متن النص وإنما نزل إلى الهامش ،وذلك لاتساع رقعة اللحن ولنزوع لغة الشعر المحدث إلى البحث عن حرية أكبر في التعبير. ينقل قدامة بن جعفر تلك الوضعية التي آلت إليها اللغة العربية آنذاك فيقول :"وربما اغتفر في دهرنا هذا اللحن والخطأ للإنسان في كلامه لكثرة اللحن في الناس ، وأنه فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس بل و أمام تفشي ظاهرة اللحن واستفحالها على الألسن ،فإن اللغويين قد خففوا من وطأة تلك الضوابط الصارمة ،ومال بعضهم إلى التماس أعذار في مواقف كلامية معينة ، لم تكن كذلك في عصور بني أمية ،حيث كان اللغوي لا يتوان أن يصدع بذكر اللحن حتى ولو كان صادرا عن أمير أو والٍ . يعقب قدامة بن جعفر عن ذلك فيقول :"وأما المواضع التي يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له في أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه الرأي .فهو عند الرؤساء الذين يلحنون ،والملوك الذين لا يعربون فمن الرأي لذي العقل والحنكة والحكمة والتجربة ألا يعرب بين أيديهم ."[3]

2- النقد بين البيان واللغة :

وأمام انحسار البعد اللغوي في الصناعة الأدبية،تعالت أصوات تنادي بضرورة التمييز بين الوظيفة البيانية والوظيفة اللغوية ،فبينما تعد الأولى من صميم عمل الناقد ،فإن الثانية ليست كذلك وإنما مجالها تقويم الألسن وتحسين الكلام ، ولذا ميز

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

السكاكي في كتابه مفتاح العلوم بين ما سماه بالوظيفة البيانية مقابل الوظيفة اللغوية [5]،فالوظيفة الأولى هي التي عدت من وظائف النقد ، أما الوظيفة الثانية فلم يعدها السكاكي وظيفة نقدية .وعطفا على ذلك فقد جاء في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي أن صناعة النقد ليس لها علاقة بالنحو أو الغريب وينقل في هذا المجال رواية يسندها التواتر فيقول:" أ خبرني عبد الله بن جعفر بن درستويه قال :أخبرني علي بن العباس النوبختي قال : رأيت البحتري يوما ومعي دفتر فقال : ما هذا ؟ قلت :شعر اليشكري .قال :وإلى أين تمضي ؟قلت :إلى أبي العباس ثعلب أقرأه عليه .قال :رأيت أبا عبّاسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة ،فما رأيته ناقدا للشعر ولا مميزا لألفاظه ،و رأيته يستحسن شيئا وينشره ،وماذلك بأحسن الشعر ولا بأفضله .قال :قلت :أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ، ولكن هو أعرف الناس بإعراب الشعر وغريبه ."[6]وقد استبسل علماء اللغة في توفير الحماية العلمية للغة العربية ،وذلك بما أسسوه من قواعد وضوابط تمنع أي تجاوز في التعبير ،خاصة في التعبير المنثور ،ولذلك مس الإبداع الشعري ملاحظاتُ أولئك العلماء ،فأحصوا ما فيه من عيوب في مستوياته الشكلية .يقف شوقي ضيف على الأسباب التي جعلت اللغويين القدامى يتناولون الشعر بالنقد فيقول :"إنما جاءتهم هذه العصبية من وظيفتهم ،فقد كانوا يعدّون أنفسهم حماة اللغة والحرسة على تراثها ، ولم يكن يهمهم من الشعر إلا المثل والشاهد في الأساس ،وكان ينبغي أن يفرقوا بين الصحة اللغوية والصحة الفنية ،فالشعر ليس من أسباب جودته أن يكون موثوقا به من الجانب اللغوي ،بل إن ذلك أمر لا يهم إلا اللغويين الذين يريدون اللغة نفسها أو يريدون النحو والإعراب ،أما النقاد فينبغي أن يفصلوا بين القيمة اللغوية والقيمة الفنية ."[7] وقد أشاد الجاحظ بالنقد الأدبي وحدد له مصطلح " علم الشعر" ،وأبعد النظر اللغوي في الشعر من مجال علم الشعر ،بل واعتبر أن النحاة- لتكوينهم العلمي الخاص- يقصر نظرهم عن استقصاء البعد الفني في العمل الأدبي ولذا لم يعترف الجاحظ لهذا الفريق من اللغويين النحاة الذين تناولوا الشعر من حيث لغته وأسلوبه بالقدرة على نقد الشعر من الناحية الفنية ، وقصر دورهم على تقييمه من الناحية اللغوية ،ناحية الإعراب والغريب والتاريخ والأنساب ، وبالتالي أخرج عملهم من دائرة النقد أو علم الشعر كما كان يسميه في عصره .[8] ولكن الخلاف حول الصناعة اللغوية والصناعة الأدبية سيعرف اتساعا كبيرا ،وسينقسم العلماء إلى فريقين : فريق يناصر عمل اللغويين وفريق يناصر عمل الأدباء ،وحقيقة الأمر أن هذا الخلاف قديما قدم الصنعة الأدبية نفسها ،إذ كان أهل النظر النقدي هم شعراء بالدرجة الأولى سواء أكان ذلك في العصر الجاهلي أو في العصر الأموي ،وبالتالي فإن تلك الحقيقة بقيت تفرض نفسها على المتأخرين من علماء الشعر ،فالذين اعتبروا أن علم الشعر هو صناعة مستقلة لها أدواتها وأهدافها ،ناصروا اللغويين والنحاة وعدوا صناعتهم من صميم العمل النقدي ،وأما الذين قالوا أن العمل النقدي هو امتداد للصناعة الأدبية عدوا الصناعة النقدية صناعة فنية أدبية .إن اعتبار العمل الذي كان يقوم به اللغويون في العصور الأدبية الأولى نقدا فيه كثير من الصحة فضلا على غنى ذلك العمل يقول عبد الحكيم راضي في ذلك :" أن ذلك الفريق من اللغويين والنحاة والرواة كان يضطلع بمهام النظر النقدي ،والبحث اللغوي والبحث في التاريخ والأنساب والأيام ، بحيث تصدق عليهم التسمية بالنقاد ، والتسمية باللغويين أو النحاة أو الرواة أو المؤرخين أو النسابين في نفس الوقت ."[9] كما كانت لفكرة الشعر المطبوع والشعر المصنوع ، الأثر الواضح في اقتفاء النقاد الأثر القديم باعتباره مطبوعا حيث استمدوا منه أصول الكلام وصحة القول اللغوي ،بينما من اعتبر الشعر المصنوع هو أساس النظر النقدي فقد أخذ أصول القول وأساليب الكلام من لغة الشعر المحدث .يقول طه حسين محللا تلك الفكرة : "واللافت للنظر أن النقد القديم قرأ كثيرا من الشعر في خلال ثنائية الشعر المطبوع في مقابل الشعر المصنوع أو مدرسة شعراء الطبع في مقابل مدرسة شعراء الحوليات (شعراء الصنعة)...لكن الذائقة العربية احتفلت بالطبع وأولته عناية في قراءة الشعر وفي تقويمه، ولم تعر الصنعة العناية الكبيرة...ولهذا لم يحفل بهم(أي شعراء الصنعة) أولئك النقاد الذين عنوا بالشعر الجاهلي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصدرا رئيسا للغة والقواعد القياسية للنحو العربي."[10] هذا الاهتمام المنصرف للشعر المطبوع من قبل علماء اللغة هو الذي سيحدد موقفهم الرافض لذيوع اللحن في التعبير الشعري المحدث ، ذلك أن النزوع نحو المعيارية في تأسيس قواعد النظر النقدي،كان ديدن هؤلاء العلماء في العصور الأموية الأولى ،وقد قادت روح الموازنة بين مطبوع الشعر ومصنوعه ،إلى تمييز صالح الشعر من قبيحه ، فالصالح ما وافق الأصول الأولى للشعر وسار على مقوماتها الشكلية والقبيح ما نبا عن تلك الأصول ،وأتى ببدع من القول مصنوعا ولذلك "كان الناقد التراثي ،في الغالب الأعم ،يتميز بأربع مزايا لا بد منها لكل ناقد خبير :

أولا – الذوق المرهف الحساس .

ثانيا – أصالة النزوع المعياري .

ثالثا :القدرة على الموازنة .

غريزة التمييز بين الغثّ والسمين ، مما يؤهله لإصدار حكم القيمة الناضج ."[11]

3- نص النقد ونقد النص :

وقد أدت صرامة الضوابط اللغوية التي أسسها العلماء بناء على النص المطبوع ،إلى استبعاد نصوص لشعراء عاشوا زمن إنتاج الشعر المطبوع ،ونعني به العصر الجاهلي ،وذلك لمخالفتهم الأصول الشكلية المتعلقة أساسا بالمعجم الشعري وما ينجم عنه من صيغ تعبيرية تخرج عن نطاق ما تواضع عليه هؤلاء العلماء فقد نص علماء اللغة على أن الشعراء الذين لا يحتج بلغة شعرهم خمسة: ثلاثة من الجاهليين واثنان من الإسلاميين وهم على الترتيب :عدي بن زيد ،وأبو دؤاد الايادي ، وأمية بن أبي الصلت ، و الطرماح والكميت بن زيد الأسدي .غير أن أولئك الشعراء كانوا محل تقدير فني من جانب علماء الشعر ، حيث يتجاوز الحديث عندهم أمور اللغة والإعراب .يقول ابن سلام الجمحي في الشاعر الجاهلي عدي بن زيد الذي لا يحتج بشعره ويسوق علل ذلك ذاكرا بأنه" لانَ لسانُه وسهُلَ منطقُه فحُمِل عليه شيءٌ كثيرٌ ، وتخليصُه شديدٌ "[12] ويضيف الأصمعي مقاييس خاصة بطبيعة المعجم الشعري الذي استعمله أولئك الشعراء الذين أخرج شعرهم من دائرة الاحتجاج وينقل عنه ابن قتيبة قوله أن العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية [13] ،ففصاحة اللغة التي اتخذها هؤلاء سبيلا لإثبات أحقية الشعر بالاحتجاج، كان من مقوماتها نقاء الألفاظ ونصاعتها بانتمائها إلى المعجم العربي الأصيل وكلما بعد العهد عن منابع تلك الأصالة اللغوية مال التعبير إلى استعمال اللفظ المحدث والعكس صحيحا أيضا ،ولذلك فإن رفض الشعر على مستوى الاحتجاج اللغوي إنما كان تعبيرا عن الخلاف بين من يرون الأصالة في اقتفاء أثر النص المطبوع وما خلا منه من عيوب اللفظ والتعبير ،وبين من يرون أن أصالة اللغة يمر عبر تحديث أساليبها التعبيرية لتوازي حداثة البنية المعرفية العامة . يحدد طه حسين مواطن الخلاف التي نشبت حول الشعر المحدث فيقول :"فقد كان قبل كل شيء في اللفظ ثم في المعنى ، لم يتجاوز هذين الأمرين ، كان القدماء والمحدثون أيام بني أمية يختلفون في اللفظ اختلافا ظاهرا ، وكانوا يتخذون اللفظ مقياسا لجودة الشعر ، فكلما قرب هذا اللفظ من البداوة ،وكلما كان رصينا ..كان الشعر جيدا ، ثم ظهر هذا الخلاف بعينه في أول العصر العباسي فاختلف الشعراء العباسيون واختلف معهم الأدباء واللغويون في أي الشعر أجمل وأرقى وأحسن : الشعر الذي يحتذي شعراء الجاهلية والإسلام في متانة اللفظ ورصانته وبداوته ، أم الشعر الذي يتخير الألفاظ السهلة العذبة التي ألفها الناس عامة لا علماء اللغة خاصة ."[14]

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

4- النقد والفصاحة :

لقد أحدث الشعر العربي في العصر العباسي أنماطا جديدة في التعبير ،وبدأ يؤسس لمعجم جديد ،وأنساق حديثة في الأسلوب ،مما أثار حفيظة اللغويين الذين خصوا الفصاحة بأبواب في مصنفاتهم " فحديث الجاحظ في رفض الغرابة والسوقية ،والقول بالتوسط بينهما قد أصبح ضمن شروط الفصاحة في اللفظ لدى اللاحقين سواء في ذلك من نص صراحة على هذين الطرفين مثل أسامة بن منقذ وضياء الدين بن الأثير وكمال الدين البحراني ونجم الدين بن الأثير الحلبي ويحي بن حمزة العلوي أو من وقفوا على صفة الغرابة والحوشية محذرين منها مطالبين بأن يبتعد الأدباء عنها إلى النمط الفصيح الجاري على قوانين العربية كالسكاكي والخطيب القزويني وغيرهما .."[15]

ويميل الجاحظ إلى الإعلاء من شأن الألفاظ في التعبير الأدبي ،إلا أنه لا يعتبر تقويم اللغة الشعرية عملا نقديا ،ولذلك نراه يؤسس لمفهوم الفصاحة بعيدا عن الحديث على النحو واللغة ،وإنما يربط ذلك بجودة السبك وشرف المعنى .يقول الجاحظ نافيا أن يكون ما يصنعه اللغويون في تقويمهم للشعر بالنقد :"طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ،فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ،فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ،فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات ."[16]

وإذا كان النقد اللغوي كما نكره الجاحظ منحصرا في النحو والصرف، فإن اتساع دائرة النظر الشكلي للمقول الأدبي ،ليشمل البلاغة والعروض، قمين بأن يدرج ذلك ضمن النقد أو علم الشعر كما كان يعرف في عهد الجاحظ ،والسبيل الذي اتخذه كل فريق من ذينك الفريقين هو ما توافر بين أيديهم من الثقافة وما حصلوه من العلوم ،بحيث أن اتساع مجالات النقد إلى مستويات أخرى من النص الأدبي ، وهي مستويات لغوية ،سيقلب رأي كثيرين من علماء الأدب القدامى لاعتبار ذلك من علم الشعر ذلك أن"هذه المواجهة بين الفريقين : النحاة واللغويين من ناحية ،والأدباء والنقاد من ناحية ثانية ،انطلاقا من خصوصية التكوين الثقافي لكل منهما تفضي بالتبعية إلى جهتين من جهات النظر إلى النص اللغوي انطلاقا من خصوصية العمل الذي يضطلع به كل من الفريقين ."[17]

5- النقد بين المعيار الجمالي والمعيار الشكلي :

وقد أدى اختلاف منهج النظر النقدي بين العلماء إلى تبني طريقين لتقييم النصالشعري :طريق تتخذ الخصائص الشكلية اللغوية مقياسا لصحة النص ولفصاحته ،وطريق اتخذ أصحابها النظر إلى القيمة الفنية للنص دون اعتبار كبير للشكل اللغوي ، ولذلك نجد أن الشعراء الخمسة الذين رفض شعرهم لغويا قد قبلوا فنيا. يعقب عبد الحكيم راضي على ذلك فيقول " على أن أولئك الشعراء الذين رفض الاحتجاج بأشعارهم على المستوى اللغوي – و منهم الشعراء المحدثون –كانوا يتمتعون بكل آيات التقدير التي كان يحظى بها الشعراء الآخرون ممن قُبِلوا لغويا ، وذلك حين يدير الناقد ظهره إلى اعتبارات النقاء اللغوي ،ويولّي وجهه شطر العناصر الفنية الحقيقية في الشعر "[18]فكأن العناصر اللغوية، هي عناصر غير فنية لكونها تختص بالشكل الذي أساسه النحو والصرف، فإذا تغاضينا عن تلك العناصر ،وتركنا الشاعر يقول بالأنساق التي يطلبها المعنى دون ضابط لغوي ،كان الشعر مقبولا وللجودة الفنية محققا ،في نظر من رأوا أن اللغة تتبع المعنى. كما أن اهتمام النص الشعري إنما يكون منصبا على إبراز القيمة الفنية التي قد تتجاوز القواعد اللغوية ،حتى إذا طال التجاوز الإيقاع الشعري ،وبدأت تعبث به قرائح الشعر ،وجدت علماء الأدب القدماء يقفون موقفا واحدا في بيان عيوب الإيقاع ،وكان أول إشارة إلى موضوع الوزن الشعري هو ما أُثير حول نصوص القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف،التي جاءت موزونة على إيقاع عروضي سعى الخليل و الأخفش الأوسط إلى حذفه من دائرة الأوزان ،ولكن اعترضتهم بعض الأوزان فحاولوا تجاوزها منها مشطور الرجز ،وذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لورود أحاديث شريفة وآيات قرآنية على تلك الأوزان [19]،إلا أن تلك المحاولات لم تفلح لأن نصوصا محدثة دعمت تلك الأوزان،وقد اختلف اللغويون والنقاد والفقهاء في مسألة الوزن والشعر فقال ابن طباطبا محددا قوالب القوافي الصرفية :" وهي _ أي القوافي – إما أن تكون على :فاعل أو فعّال أو على مفْعَلٍ أو على فَعِيلٍ أو على فَعَلٍ أو على فَعْلٍ أوأو على فُعَيْلٍ ، وعلى هذا حتى تأتي على الحروف الثمانية والعشرين ،فمنها ما يطلق ،ومنها ما يقيد " [20] ،إلا أن الجاحظ له رأي نقدي بديع ،يقرر معه أن الشكل اللغوي للمقول الشعري هو الذي يحدد ماهية الشعر وذلك من الناحية الكمية ومن ناحية القصد والنية ،فليس كل كلام موزون شعر ،وليس كل قول نزل عن البيتين بشعر فيقول معلقا على أقوال ساقها يخال أنها شعر :" وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام "[21] فأساس المقول الشعر معياران :معيار كمي ومعيار قصدي ،فالمعيار الأول يحدد شكل النص الشعري ابتداء من البيتين لا البيت الواحد ،أما المعيار القصدي فيتعلق بنية القائل على قول الشعر .

6- النقد اللغوي والإيقاع الشعري :

وينمو الدرس العروضي ،ويتخذ مناحٍ عدة ،بل ويتخذه بعض اللغويين مدخلا للنقد اللغوي الشكلي ،ومن هؤلاء ابن طباطبا في كتابة "عيار الشعر " ينظر لعلم القوافي،ويبسط القول في دورها في بناء النص الشعري فيقول :"ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ ،القلقة القوافي،الرديئة النسج فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أوقوافيها ، وألفاظها أو معانيها،قول أبي العِيال الهُذلي :

ذكرتُ أخِي فَعاودَني صُداعُ الرأسِ والوصبُ
فذكر (الرأس) مع (الوصب) فضلٌ .

وقول الآخر :

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ وهندُ أتى من دونها النأيُ والبُعدُ

فقوله (النأي) مع ذكر (البعد) فضلٌ،"[22]

فالحشو عيب من عيوب الشعر ،ويكون أشنع إذا كان في القوافي ،وهذا التناول العروضي ،هو تناول لغوي يتعلق بضرورة أن تعوض الوحدة المعجمية بوحدة معجمية أخرى لتفادي التكرار ،وهذه القراءة العروضية ستفتح المجال فسيحا أمام اللغويين لالتماس الجوازات الشعرية التي يُعذر فيها الشاعر ،وسيتفرع الحديث عن زحافات العروض وعلله، وذلك لاستفحال عيوب الشكل الشعري المتمثل في اختراق قواعد الايقاع العروضي.يقول في ذلك الآمدي :" إن ما بوبه النحويون من عيوب الشعر في الإقواء والاكفاء والسناد وغير ذلك مما عيب في اللفظ دون المعنى فليست بنا حاجة إلى ذكره لكثرته وشهرته ، وكذلك ما آخذته الرواة على المتأخرين من الغلط واللحون فاش أيضا.فلم يكن أحد في خطإِه ولا سهوه ولا غلطه بمجهول الحق ."[23]

وإن كان القاضي الجرجاني من العلماء الذين كانوا

يستبعدون دور النحوي من دائرة علماء الشعر حيث عدد أصنافهم وصناعتهم ومن بينهم " نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر "[24]وقد بدأت مظاهر اكتمال أدوات النقد اللغوي تبرز في العصر العباسي ،وستُواجه معايير الفحولة التي وضعها الأصمعي ومن بعده ابن سلام بانتقادات من علماء الشعر ،لكونها اعتمدت معايير غير فنية في نظرهم ، وقد اتخذ الجاحظ مواقف تجاه الأصول التي بنى عليها ابن سلام الجمحي طبقاته إذ :" بينما التزم ابن سلام بأصول النقد التقليدي المحافظ لا يخرج فيه على رأي علماء اللغة ،وأهل الشعر ...فإن الجاحظ رفض هذه الأصول ...واعتمد مذهبا حرا في النقد يقوم على

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

التحليل المنهجي للنصوص ،وتذوق ما توحيه من ظلال الأدب ، وما تحمله من لذة فنية ومعان شريفة ...ولم يعتمد في الأدب القديم لأنه يمثل الشاهد النحوي أو اللغوي ."[25]

ورغم ذلك الخلاف المنهجي بين علماء التراث النقدي، فإن علماء الأدب – فيما بعد - سيشيرون على أن اللغويين الذين يتناولون النص الأدبي من مستويات اللغة يعد عملهم من صميم النقد ، أو علم الشعر. لننظر إلى تلك التحليلات التي أجراها ابن جني في شروحاته للشعر ، ضمن مستويات اللغة الشكلية أو النسقية والتي أبان عنها ابن جني في شرح ديوان الحماسة الذي وضعه الشاعر أبو تمام ، متمثلين بشواهد وردت في الديوان .

مصادر البحث ومراجعه :

[1]- قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب البغدادي) : نقد النثر ص75،76 دار الكتب العلمية – 1980-- بيروت .

[2]- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل):كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر – ص168،169 حققه وضبط نصه مفيد قميحة – ط2- 1989- دار الكتب العلمية – بيروت ..

[3]- قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب البغدادي) : نقد النثر ص143.دار الكتب العلمية – 1980-- بيروت .

[4]- المصدر السابق ص144

[5]- انظر السكاكي(سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي) مفتاح العلوم ص43تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة – 1985

[6]- الحاتمي (محمد بن الحسين بن المظفر البغدادي الكاتب) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ج 1 ص199،200 تحقيق جعفر الطيار الكتاني – رسالة ماجستير 2000– القاهرة

[7]- شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي – دار المعارف – ط4 – مصر 1960.

[8]- انظر الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ج4 ص24 دار إحياء التراث العربي – 1988 – بيروت .

[9]-عبد الحكيم راضي : النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي –ص221 – دار الشباب للنشر طذ1 – 1993- القاهرة .

[10]- رحمن غركان : موجهات القراءة الإبداعية في نظرية النقد الأدبي عند العرب ص71 – منشورات اتحاد الكتاب العرب 2007 – دمشق .

[11]- يوسف سامي اليوسف :القيمة والمعيار – مساهمة في نظرية الشعر – ص15 ،16 دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع ط1- 2000 –دمشق

[12]- ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء ص117.

[13]- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج 1 ص 190 .

[14]- طه حسين :من تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول – ج2 ، ص115 دار العلم للملايين – بيروت 1982 .

[15]- عبد الحكيم راضي :الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ ص149 - - ط 3 – 2006 - مكتبة الآداب – القاهرة

[16]- الجاحظ :البيان والتبيين ج4 ص24 .

[17]- عبد الحكيم راضي :نظرية اللغة في النقد العربي – دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب – ص20 – ط1 المجلس الأعلى للثقافة 2003 – القاهرة .

[18]- عبد الحكيم راضي : النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي –ة محاولة لقراءة جديدة – دار الشباب للنشر ط1 – 1993 – القاهرة .

[19]- انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص54 تحقيق السيد الصقر ط3 –دار المعارف 1971 – القاهرة .وفي موقف الأخفش أنظر تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكرياء محيي الدين بن شرف النووي ج3 ص 163،164 د .ت - إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة

[20]-ابن طباطبا عيار الشعر ص218

[21]- الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين ج1 ص288،289 تحقيق عبد السلام هارون –دار إحياء التراث العربي – 1987 – بيروت .

[22]- ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي):عيار الشعر ص183 – تحقيق عبد العزيز نادر المانع –اتحاد الكتاب العرب – 2005-دمشق – سوريا .

[23]- الحسن بن بشر الآمدي : الموازنة بين الطائيين ج1 ص51 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة – 1985 .

[24]- القاضي الجرجاني :الوساطة بين المتنبي وخصومه ص436 تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي – دار إحياء الكتب العربية 1987.

[25]- حسن عبد الله شرف : النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام . ص158،159- دار الحداثة للطبع – ط1 - 1984 - بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com